

جمهورية مصر العربية



معهد التخطيط القومي

سلسلة أوراق الأزمة

مصر وعالم كورونا، وما بعد كورونا

الإصدار (1)

"وباء كورونا وتبعاته الاقتصادية"

أ.د. عثمان محمد عثمان

أستاذ اقتصاديات التنمية والتخطيط

معهد التخطيط القومي

وزير التخطيط والتنمية الاقتصادية الأسبق

- أبريل 2020 -

مقدمة

أزمة اقتصادية شديدة لم تولد في الحقل الاقتصادي. عندما واجه الأطباء والعلماء ظهور الفيروس التاجي المجهول (كورونا)، سرعان ما طلبوا التباعد البدني بين الناس والعزل. ومع سرعة انتشاره من مدينة ووهان الصينية إلى أرجاء الصين والعالم أُلْحُوا على المسؤولين للحد من الانتقال والسفر. للمحافظة على الحياة كانت الروشتة تَوْقُفُ النشاط المجتمعي. في سبيل نجاح العملية (حصار الوباء) مات المريض (الاقتصاد) !! لأن الظاهرة غير مسبوقة، تضاربت آلات الحرب على جبهتين في آن واحد: حصار الوباء ومقاومة الركود الاقتصادي. وفشل العلم - حتى الآن - في تفسير أسباب المرض ووسائل علاجه. وعجز الاقتصاديون كذلك عن تحديد سبل تلافى أثار انتشار الوباء على الآلة الاقتصادية، ليس في دولة واحدة بل على الاقتصاد العالمي برمته. لقد واجه الاقتصاديون - من قبل - خيبة الأمل والنقد القاسي عندما فشلوا في توقع وخطورة الأزمة المالية العالمية في 2008.

في مواجهة وباء كورونا قد لا يتحملون مسؤولية عدم التنبؤ بالعاصفة، ولكن لا يزالون في حيرة التتقيب في النظرية والخبرات السابقة للعثور على علاج للأزمة الاقتصادية المتفاقمة. كثيرة هي الكتابات عن الوباء وتبعاته في كل مناحي الحياة وعبر العالم. ولكن ثمة أسئلة في الاقتصاد لم تحظى باهتمام. لماذا كان 'الإغلاق' - شاملاً أو جزئياً - هو الحل؟ هل الخسائر المترتبة على انتشار الوباء موقوتة أم ممتدة؟ هل تختلف الأزمة الاقتصادية الحالية أم تتشابه مع أزمات سابقة؟ هل العلاج عن طريق حزم الإنفاق الحكومي والمحفز المالي stimulus package كان حتمياً وضرورياً؟ وهل تكفى الحزم المالية الضخمة لدفع موجات الركود الاقتصادي؟ الآن كيف سيخرج العالم من هذه الكارثة الاقتصادية، سواء تفاقم الوباء أو انتهى؟

1. وباء مَرَضِي يتحول إلى مستنقع اقتصادي

إلى أن تتوفر معرفة أدق بمتى وكيف ستنتهى أزمة الصحة العامة التي خلقها فيروس كورونا، لن يتمكن الاقتصاديون من البدء في وضع تنبؤاتهم حول نهاية الركود الاقتصادي. ومع ذلك، ثمة دواعي وأسباب للتوقع بأن يكون الانحدار أعمق وأطول مدى مما أحدثته الأزمة المالية العالمية في 2008. خلال أزمة 2008 بدا كل يوم من أيام الأزمة شيئاً هيناً مقارنة بما تحمله أيام الكارثة الاقتصادية الحالية. في الفترة القصيرة الأخيرة بلغ الانهيار في الناتج العالمي حداً لم يشهده أى ركود عبر 150 سنة مضت. لم تنجح جهود البنوك المركزية والسلطات المالية - خاصة في الدول المتقدمة - في تخفيف الوطأة على أسواق المال، كما هزعت رؤوس المال من الأسواق الناشئة. لن يمكن تحاشي الركود الاقتصادي والأزمة المالية. تدور الأسئلة الآن حول درجة سوء الانكماش، والمدى الزمني الذي سيستغرقه. ربما يستحيل واقعياً على الاقتصاديين التنبؤ بنهاية هذه الأزمة، قبل معرفة سرعة وفعالية التصدي لهذا الوباء. على الأقل، نرصد أن حجم عدم اليقين العلمي حول الكورونا تضاهيه الشكوك المتعلقة برد فعل الناس وواضعي السياسات

خلال الأسابيع والشهور المقبلة. يبدو الأمر وكأن العالم يشهد شيئاً قريباً من غزو أهل الفضاء. نعرف أن الإصرار والإبداع البشرى سوف يتغلب فى النهاية، ولكن بأية تكلفة؟ (Rogoff).

2. لماذا الإغلاق الاقتصادى؟

لكبح جماح فيروس كورونا فرضت الحكومات العزل الذاتى وحظر التنقل، مما أثر على نسبة كبيرة من سكان العالم. حالياً يقع نصف سكان العالم، حوالى 4 بليون شخص، تحت حظر التنقل فى محاولة لوقف انتشار الوباء. إلى متى سيستمر الحظر؟ الإجابة - كما جاءت على لسان رئيس الوزراء البريطانى بوريس جونسون - هى حتى نهزم كوفيد 19. متى سيتحقق ذلك؟ عندما لا يحمل الفيروس فرد واحد على وجه البسيطة. لكن ذلك قد لا يحدث أبداً. هل يتحقق عندما نحصل على فاكسين/ تطعيم أو علاج فعال؟ قد يستغرق ذلك عاماً أو أكثر. هل نبتغى بقاء الناس فى بيوتهم، والحدود بين البلاد مغلقة، والمدارس والمطاعم والحدائق والمكاتب مقفولة طوال هذه الفترة؟ من المؤلم أن يقال ذلك، ولكن الرئيس الأمريكى دونالد ترامب قال بوضوح: لا يمكن أن يكون العلاج أسوأ من المرض. للحظر منافع؛ قليلون ماتوا. ولكن ثمة تكلفة اقتصادية واجتماعية؛ العزلة الاجتماعية، البطالة، الإفلاس. كيف يمكن مقارنة الفوائد المحققة مع تكلفة البطالة، والعزلة الاجتماعية، وحالات الإفلاس المنتشرة؟

يصر البعض على أنه واقعياً ثمة مبادلة (مقايضة): الحظر أفضل للمحافظة على حياة الناس والاقتصاد. ولكن هذا من قبيل التمنيات الطيبة. يفترض هؤلاء أن الحظر والإغلاق لن يستمر طويلاً. وإذا توقف الحظر قبل قهر كورونا سيموت أشخاص كان من الممكن أن تطول أعمارهم. ليس من السهل أن نتجنب عملية المقايضة بين إنقاذ أرواح وحماية الحياة.

يبدو أنه من سلامة القول أن الوقت المناسب لإنهاء الحظر قد يقع بين اللحظة الراهنة وعشرة سنوات قادمة! لن يساعد مثل هذا القول أحداً، ولا بد من تفكير جاد حول عملية الاختيار والمقايضة بين السبيلين. كيف؟ أولاً، لا يجوز التغاضى عن التكاليف المحتملة لعملية احتواء الوباء. تبيين الأبحاث فى مجال سيكولوجيا الأخلاق أنه وفقاً لأثر الضحية المُحدَّدة يفضل الناس تقديم العون لضحية محددة ومعروفة على تقديم نفس المنفعة لكل فرد ضمن مجموعة أكبر وغير معروفة من الأشخاص. هذا خطأ أخلاقى، إذ يجب أن نُقدِّم على عمل الطيب حتى ونحن لا نعرف تحديداً من ينتفع به. شئ مماثل، يمكن تسميته أثر السبب المحدد، قد يعوق تفكيرنا حول كورونا، عندما ينحصر تركيزنا فى مصدر محدد للمعاناة، دونما معرفة من الذى يعانى تحديداً، ونتجاهل المشكلات الأخرى. هل يمكن أن تعمينا رؤية الجثث فى المشرحة عن الأذى الأشد الذى قد نلحقه بالمجتمع ككل عن طريق محاولة تجنب هذه الأجساد المريعة؟ (SINGER)

نعرف أن عملية الاختيار بين بدائل تتطلب أن نختصر النتائج في وحدات قياسية واحدة. المشكلة مع وباء كورونا تكمن في صعوبة، بل استحالة، المقارنة بين 'خفق' الاقتصاد في سبيل إنقاذ الأرواح، وبين تقدير قيمة الأرواح التي تم إنقاذها مقابل الانخفاض في الناتج الإجمالي. أحد سبل التقدم هو أن نقدر أثر الحظر، إذا استمر لفترة طويلة، على تقليص حجم الاقتصاد. لم يحاول أحد عمل مثل هذه الحسابات بدقة. لكن بعض التقديرات المبسطة تشير إلى أنه كان من الأفضل - من منظور عدد السنوات التي سيخسرها المجتمع - عدم إغلاق الاقتصاد. قد يؤخذ على هذا التحليل البساطة الزائدة في الافتراضات التي استند إليها، خاصة الاكتفاء في حساب المكسب والخسارة على سنوات العمر. الصحة ليست كل شيء. الأهم هو مقارنة تأثير السياسات المختلفة على الحياة الكريمة والرفاه بصفة عامة. ربما يكون من المناسب استخدام مؤشر السعادة على النحو الذي يوفره التقرير الدولي للسعادة.

لعل أحد أهم دواعي القلق تتعلق بالبطالة، فقد حوَّلى عشر ملايين عامل أمريكي وظائفهم خلال أسبوعين، ووصل الرقم إلى 17 مليون متعطّل حتى العاشر من إبريل. في الهند وغيرها من البلاد النامية دمر الإغلاق حياة الملايين ممن ليس لديهم عمل مستقر. البطالة شيء مقبوت ولكنه من غير الواضح كيف يمكن المفاضلة بين التعطّل وامتداد سنوات العمر. أما إذا استخدمنا معيار نوعية الحياة، فقد تصبح المقارنة أكثر دلالة: للبطالة أثر مؤلم على الفرد وأسرته، إذ تقلل من رضائه بنسبة 20%. هل نستطيع مقارنة التكلفة الإنسانية للإغلاق بالعائد من إطالة العمر؟ سيبقى معنا فيروس كورونا لفترة قد تطول، فهل كان فرض الإغلاق سياسة صحيحة؟ لا يوفر المنطق إجابة شافية، ولكن على البحث التطبيقي محاولة تقدير آثار هذه الكارثة الصحية على كافة الجوانب المؤثرة على نوعية حياة الناس (SINGER)

3. خسائر اضطرارية غير مسبقة:

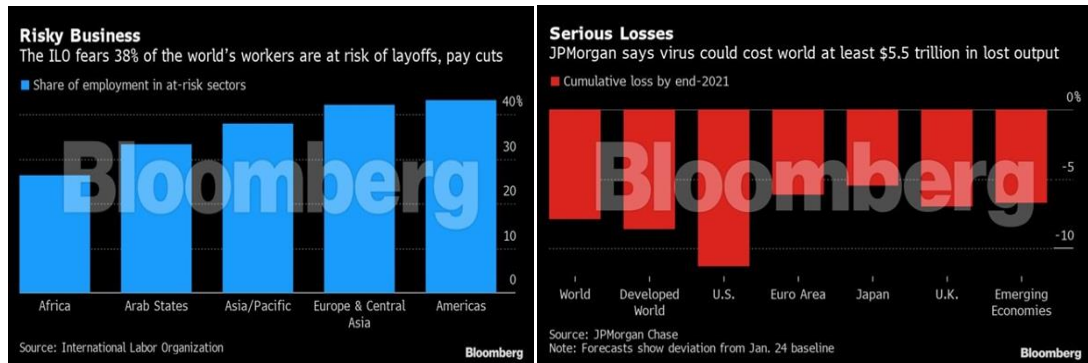
كانت الصدمة التي ضربت الاقتصاد العالمي بسبب فيروس كورونا أسرع وأقوى من الأزمة المالية العالمية في 2008، وكذلك أخطر من الكساد العظيم في ثلاثينيات القرن الماضي. في كلتي الحادثتين السابقتين انهارت البورصات بحوالى 50%، وتجمدت حركة الائتمان والاستثمار، وأفلست شركات، وقفزت نسب البطالة فوق 10%، وانكمش الناتج الإجمالي بمعدل 10% أو أكثر. ولكن بينما استغرقت تلك الخسائر ثلاث سنوات، تدهورت كافة المؤشرات الاقتصادية والمالية في الأزمة الحالية خلال ثلاثة أسابيع فقط. في الولايات المتحدة بلغ الانخفاض في سوق الأوراق المالية نسبة 20% في أسبوعين أوائل مارس الماضي، ووصل التدهور إلى 35% بعد ذلك، كما توقعت جولد مان ساكس ومورجان ستانلى تراجع الناتج الإجمالي بنسبة 6% في الربع الأول من السنة، و 24-30% خلال الربع الثانى. وحذر

وزير المالية الأمريكي من زيادة نسبة البطالة إلى 20%، أى ضعف ما وصلت إليه خلال الأزمة المالية العالمية (ROUBINI)

فور تواتر أخبار انتشار الفيروس بدأت الأخبار الاقتصادية الصادمة تأتي سريعة وكثيفة، حول الانخفاض غير المسبوق في حركة النشاط، وأعداد المتعطلين، وبدا واضحاً أنها ستتواصل. قام صندوق النقد الدولي بتحديث توقعاته للاقتصاد العالمي، بمناسبة انعقاد اجتماعات الربيع السنوية- من خلال الفيديو كونفرانس. تشير التوقعات، المبنية على تنبؤات الاقتصاديين والمؤسسات والبنوك المركزية، إلى انخفاض اقتصادي هائل لم يشهد العالم أسوأ منه منذ الكساد العظيم، على حد تصريح رئيسة الصندوق.

لقد عرضت مؤسسة بلومبرج صورة مختصرة 'للخراب' الذى لحق بالنشاط والتشغيل والمالية العامة نتيجة الإجراءات التى جرى اتخاذها لمحاصرة الوباء. وقالت ج ب مورجان أن الفيروس قد يكلف العالم انخفاضاً في الإنتاج قيمته 5.5 تريليون دولار، خلال عامين. يمثل هذا خسارة في الناتج العالمي بنسبة 8% (تفوق قيمة إجمالي الإنتاج في اليابان). مما فاقم الأمور أن الاقتصاد العالمي كان يعاني فعلياً من تراجع أعمق وأسرع مما واجهه خلال الفترة الأولى من الأزمة العالمية. بلغ الانخفاض 0.5% في مارس الماضى (على أساس سنوى) بالمقارنة مع 0.1% في فبراير. ومع استمرار الإغلاق بل التوسع في نطاقه، لن يكون التدهور في مارس هو الأسوأ. من ناحية أخرى، قدرت منظمة العمل الدولية أن 38% من عمال العالم تواجه خطر الاستغناء عنهم، وتخفيض أجورهم. سيؤدى الوباء إلى فقد بليون عامل وظيفتهم أو تخفيض أجورهم. ومع توقف المصانع وإغلاق المدارس والمحال عبر العالم، تؤكد المنظمة أن ما لا يقل عن 2.7 بليون عامل سيتأثرون بهذا الإغلاق. فضلاً عن ذلك، تتوقع منظمة التجارة الدولية انخفاض التجارة في 2020 بنسبة 32%، التى تعكس انهياراً في تدفق التجارة العالمية يزيد على أى انخفاض حدث فيما بعد الحرب العالمية. إنظر الشكل-1 (Schneeweiss)

شكل رقم (1) خسائر الإنتاج والعمالة نتيجة تداعيات أزمة فيروس كورونا



مع بداية تنفيذ الإغلاق الجزئي وظهور ملامح الخطر حذر جولد مان ساكس من أن الناتج الإجمالي للولايات المتحدة قد يتراجع بنسبة 24% في الربع الثاني لسنة 2020، وتزيد البطالة إلى 9%. الانهيار الاقتصادي الذي توقعه جولد مان سيكون أسوأ بكثير مما حدث في غضون الأزمة المالية العالمية، حيث بلغ أدنى انخفاض في الناتج الإجمالي حوالي 8% في الربع الرابع من سنة 2008. تتماثل الصورة نفسها في معظم الدول. يتوقع أن ينخفض معدل نمو الاقتصاد البريطاني ب 6%، وربما تزيد مع استمرار وتوسع حالة الإغلاق، لتسجل أسوأ حالة ركود في قرن كامل.

انكماش الاقتصاد العالمي الذي لم يتوقعه أحد في 2020 أصبح واقعاً، ويحذر بعض الخبراء من أن الوباء سَيَجْرُءُ إلى حالة كساد. بينما لم تنكشف تماماً أسرار الوباء بدأ الخبراء البحث في كيف أنه سيغير العالم. يتوقع البعض تحولاً كبيراً في شبكات التوريد، والتجارة الدولية. أصبحت مزايا الرأسمالية، والنظم الديمقراطية، والعولمة محل إعادة نظر.

حوالي منتصف فبراير الماضي حذرت شركة أبل من مخاطر انهيار أسعارها في البورصة وصعوبة تحقيق إيراداتها المستهدفة، لأن فيروس كورونا أدى إلى انخفاض الطاقة الإنتاجية للآيفون iPhone في الصين، وانخفاض الطلب على منتجاتها بسبب إغلاق المحال الصينية أو تقليل ساعات العمل. يشير البعض إلى هذه الواقعة للتدليل على التهديد الكامن في انتشار وباء كورونا، رد الفعل لهذا المرض ألحق الضرر بكل من العرض والطلب في آن. هذا التهديد المزدوج هو ما يجعل الوباء أشد ضرراً من أى حادثة سابقة. سيبقى الناس في منازلهم خوفاً من العدوى. ينعكس هذا في تقلص الطلب على السلع الاستهلاكية والخدمات، والطاقة. وسيؤدي قرار الشركات والحكومات بإغلاق المصانع والمحلات إلى تخفيض الإنتاج. الوباء يشبه الحرب العالمية في فجائيته وعمومية انعكاساته، كما يشير تقرير للبنك الدولي في 2013 (Riley)

لأن فيروس كورونا يهدد النشاط الإنتاجي في العالم كله، أصبح السؤال عن مدى سوء الذي تتجه نحوه الأمور. في 14 إبريل حذر صندوق النقد الدولي من أن الانكماش العالمي سيكون الأعظم خلال القرن. ومع شدة الوباء وعدم التيقن حول فترة الإغلاق تتضاءل فائدة نماذج الاقتصاديين الذين تدربوا على دراسة 'الدورة الاقتصادية' فيما بعد الحرب العالمية. ولكن شيئاً واحداً بات مؤكداً: بعض الاقتصادات سوف تعاني أكثر من غيرها. الأزمات الاقتصادية تكشف وتقاسم الضعف الهيكلي. وقد لاحظ التحليل الذي أجرته مجلة الإيكونومست البريطانية على بيانات الناتج الإجمالي لخمس عقود أن معدلات النمو في الدول الغنية تميل نحو التقارب في فترات الانتعاش، بل حتى الاقتصادات الأضعف تواكب هذا التحسن. أما فترات التراجع تشهد عادة التباعد. خلال النصف الأول من عقد الألفية بلغت فجوة النمو بين أفضل وأسوأ الدول الغنية خمس نقاط مئوية. في 08-2012، وهي فترة الانكماش التي تلت الأزمة

المالية العالمية، قفزت الفجوة إلى عشرة نقاط كاملة. لن يكون الانكماش مختلفاً هذه المرة. هناك ثلاثة عوامل تحدد مدى سوء الذى سيجرب على الأزمة: الهيكل الصناعى للبلاد، تركيبة قطاع المنشآت، فعالية المحفز المالى. فيما يتعلق بهيكل الصناعة سيكون تأثير الإغلاق أشد بالنسبة للدول التى تعتمد على أنشطة كثيفة العمالة. الأمثلة تشمل قطاعات التشييد، السياحة، وغيرها. كما ينعكس هيكل الصناعة فى نسبة العاملين للذين يمكنهم أداء عملهم فى المنازل. فضلاً عن أن الاقتصادات التى تسود فيها المشروعات الصغيرة ستتأذى كثيراً جراء طوال فترة الإغلاق. قارن البيانات الواردة فى الشكل - 2.

يرتبط العنصر الثالث لتحديد مدى المتاعب الاقتصادية بطبيعة الدعم المالى (المحفز). قدمت الدول الغنية دعماً مالياً بمبالغ غير مسبوقه. لقد بلغت حزمة المبالغ أكثر من ضعف الدعم الذى قُدِّمَ فى 08-2009. صحيح أن حجم هذا المحفز اختلف بين الدول، انظر الشكل، كما تباينت مكوناته. فى الدول الغنية كان الهدف هو المحافظة على مستويات المعيشة، مثل الإضافة إلى دخل الأسر، وإعانة البطالة. كما حرصت بعض الدول على استمرار التشغيل عن طريق دعم الأجور (Horowitz)

4. توقعات استمرار (تفاقم) الأزمة

تسود حالة عدم اليقين بشأن موعد خروج العالم من الإغلاق الكبير، الذى لم يشهد العالم مثيلاً له من قبل. من المحتمل أن تصل الخسائر المتراكمة فى 20-2021 حوالى 9 تريليون دولار، وهو ما يعادل حجم اقتصادى ألمانيا واليابان معاً. إنها أول مرة منذ الكساد العظيم تواجه فيه الاقتصادات المتقدمة والناشئة حالة الانكماش فى وقت واحد. إذا لم ينحسر الوباء فى النصف الثانى من 2020، وساءت الأحوال المالية، سوف ينخفض الاقتصاد العالمى بنسبة 3% أخرى. وكذلك إذا استمرت الأزمة فى 2021 سينخفض الناتج الإجمالى العالمى بنسبة 8%. بافتراض أن وباء كورونا سينحسر فى النصف الثانى من عام 2020، يتوقع صندوق النقد الدولى تعافى الاقتصاد العالمى فى العام المقبل لينمو بنسبة 5.8%، عندما يعود النشاط الاقتصادى إلى حالته العادية وتدعم السياسات الاقتصاد العالمى. وكما يبين الجدول رقم (1)، يقتصر انخفاض النمو على السنة الحالية لتعود بعدها حالة الانتعاش فى مختلف مناطق العالم ولو بمعدلات مختلفة¹. ربما لا تتوافق هذه النظرة الإيجابية مع توقع تعرض غالبية الدول

¹ أنياً، يبدو أن الأسواق تأمل أن يجئ التعافى سريعاً، ربما قرب نهاية هذا العام. وفى هذا يلحون إلى الحالة الصينية، كعلامة مشجعة لما قد ينتظر باقى العالم هل لهذا التوقع مبرراته؟ لا شك أن العمالة فى الصين بدأت فى العودة، لكنه ليس واضحاً ما إذا كانت ستعود إلى مستواها قبل الأزمة. وحتى إذا انتعشت الصناعة الصينية فمن سيشتري هذه المنتجات بينما يعانى الاقتصاد العالمى من الانكماش؟ وفى الولايات المتحدة تبدو العودة إلى 70% أو 80% من طاقتها الإنتاجية حلمًا بعيداً.

المتقدمة لتراجع شديد فى الناتج الإجمالى وزيادة البطالة. ستعانى مجموعة الدول المتقدمة انخفاض الناتج بمعدل 6.1% فى 2020 (Khaleej Times).

لقد أكد تحذير الصندوق على خطر امتداد الانكماش إلى 2021 مالم يقوم صانعو السياسات بتنسيق الجهود العالمية فى مواجهة الفيروس. توقع الصندوق تراجع الاقتصاد العالمى بنسبة 3% فى 2020، وهو انكماش أسوأ مما حدث فى أعقاب الأزمة العالمية فى 2008. إنقلب هذا التوقع 180 درجة عن توقعاته السابقة بارتفاع الناتج العالمى بنسبة 3.3% خلال هذه السنة. أى أن الاقتصاد العالمى سيخسر 6.3% من قيمة الناتج العالمى بسبب تداعيات الوباء. يُخشى أن يؤدي 'الإغلاق الكبير' إلى انخفاض هائل فى النمو العالمى. ربما يحدث تحسن جزئى فى 2021 ولكن سيكون مستوى الناتج الإجمالى أقل من سابق مستواه قبل الأزمة.

فى الولايات المتحدة يتوقع الصندوق انخفاض الناتج بنسبة 5.9% (أسوأ انهيار منذ 1946)، سيهبط النمو بشدة فى الصين إلى 1.2% وهو معدل لم يكن بهذا التدنى منذ 1976. تبدو الصورة بالغة السوء حتى فى الدول التى تصدت للفيروس بشدة. التراجع فى ألمانيا بنسبة 7%، فى المملكة المتحدة بنسبة 6.5%، و 5.3% فى اليابان، أما أسبانيا وإيطاليا اللتان ضربهما الفيروس بقسوة سيخسر اقتصادهما 8% و 9.1% على التوالى. تبين هذه التوقعات أن جهود مواجهة الوباء سوف تكلف عشرات الملايين وظائفهم، وتزيح عشرات الآلاف من الشركات خارج النشاط. سترتفع البطالة فى الولايات المتحدة هذا العام إلى 10.4% و 9.1% فى 2021. أصبح واضحاً أن الوباء سيمتد أطول مما كان مفترَضاً، وأن تأثير الأزمة الصحية على النشاط الاقتصادى وأسواق المال سيكون أشد وأطول مدى (Riley)

يبدو واضحاً أن التأثير الاقتصادى للوباء المَرَضِى لن يكون فقط بالغ الحدة ولكن التوقعات بالتعافى غير مطمئنة أيضاً. لا ينتظر أحد أن يأخذ الخروج من الأزمة الشكل V أو الشكل U ولا الشكل L. أى انخفاض حاد يعقبه ثبات، وإنما تدهور فى شكل خط رأسى يعكس انهيار أسواق المال والاقتصاد الحقيقى (العينى). حتى فى أثناء الكساد العظيم أو الحرب العالمية الثانية لم يتم إيقاف توقف النشاط الاقتصادى كما يحدث الآن فى الولايات المتحدة وأوروبا وغيرها من البلاد.

شكل رقم (2) مؤشرات تأثير الإغلاق على بعض الاقتصادات

Sick and sicker OECD countries, vulnerability to lockdowns, April 2020			
Vulnerability score* Rank out of 33, 1=most vulnerable	Jobs that cannot be done from home, %	Retail, transport and hospitality, % of GDP	Fiscal stimulus† % of GDP
(1) Greece	68	23	1.0‡
(3) Spain	68	24	1.2
(5) Italy	65	21	1.2
(15) France	62	18	0.7
(23) Japan	67‡	22	10
(28) Sweden	56	18	2.2
(29) Germany	63	16	4.4
(31) Britain	56	17	3.1
(33) United States	58	16	6.9

*Average score of five indicators: employment in small firms; ability to work from home; size of retail and leisure sector; fiscal stimulus; focus on job protection †Spending/revenue measures ‡The Economist estimate
Sources: "How many jobs can be done at home?" by J. Dingel and B. Neiman; OECD; IMF; World Bank; UBS; Goldman Sachs; The Economist
The Economist

5. هل يحتاج المريض الاقتصادي مُحَقِّزاً من الأوكسيجين؟

من الواضح حتى الآن غلبة الاعتبارات الطبية على تفكير ورؤية علماء الصحة العامة لمواجهة الوباء الخطير والغريب. ستعتمد قوة وصلابة التحسن على ما تقدمه الحكومات حالياً من دعم ضروري للأسر حتى تتمكن من تلبية احتياجاتها، وللشركات حتى تتفادى الإفلاس. السيناريو الأفضل - وفقاً لهذا المنحى - هو أن يكون الإغلاق أكثر شدة، ولكن يستمر لفترة قصيرة مما يسمح بمعدل نمو موجب في الربع الأخير من هذا العام. ولكن الأمر في هذه الحالة يقتضى توفر عدة اشتراطات. يتطلب أولاً نشر إجراءات الفحص والاختبار والتتبع والعلاج والحظر والحجر الصحى والإغلاق الكامل على نطاق واسع. أن تواصل السلطات النقدية ثانياً ما بدأت من إجراءات وتعمل على تخفيض الفائدة، وتسهيل الائتمان ودعم الشركات والبنوك، إلخ. أن تقوم الحكومات ثالثاً بتعبئة موارد أكثر وضخها كمحفز مالى، شاملة مساعدات نقدية للأسر المتضررة. الحكومات المركزية وحدها هي القادرة على منع انهيار القطاع الخاص. قد تضطر الدول الغنية أن تتحمل زيادة في عجز الموازنة من متوسط 2-3% إلى 10% من الناتج الإجمالى (ROUBINI).

لن يكون الوفاء بهذه المتطلبات لتحقيق عودة سريعة للانتعاش الاقتصادى أمراً ميسوراً. لا زال رد فعل مؤسسات الصحة العامة حتى فى الدول المتقدمة قاصراً عما يلزم لاحتواء الوباء. كما أن حزمة السياسة المالية محل جدل، رغم أنها لم تكن كافية ولا عاجلة بما فيه الكفاية. ومن ثم فإن خطر حدوث كساد كبير مرة أخرى قد يلوح فى الأفق. إذا لم يوقف الوباء، ستواصل الاقتصادات والأسواق تدهورها. ولكن حتى لو أمكن احتواء الوباء - بصورة أو أخرى - فلن يعود النمو إلى ما كان عليه مع نهاية 2020. سيواجه الاقتصاد العالمى فى كل الأحوال عدة ضغوط، مع اقتراب الانتخابات الأمريكية، وتصادم التناقض بين الغرب وأربعة أطراف أخرى هي الصين وروسيا وإيران وكوريا الشمالية. ستكون مجموعة

المخاطر - وباء خارج السيطرة، إجراءات صحية واقتصادية متشابكة ومتضاربة - كافية لدفع الاقتصاد العالمي نحو كساد طويل وانهيار كامل في أسواق المال. بعد انهيار 2008 تمكنت الجهود الصارمة (!! من انتزاع الاقتصاد العالمي من محنته، يُخشى ألا نكون محظوظين هذه المرة (ROUBINI)

5-1. حجم حزم التحفيز

نصح صندوق النقد الدولي الحكومات بزيادة الإنفاق على إجراءات الفحص والاختبار للمشتبه بإصابتهم بالفيروس، وإعادة المتقاعدين من المشتغلين بالطب والصحة العامة إلى العمل، وشراء المعدات والأجهزة الطبية المناسبة، ورفع القيود التجارية على المنتجات الطبية، إلخ. وبدا وكأن لدى أوروبا خطة إنقاذ. ستتوسع الإجراءات المالية إذا استمر إيقاف النشاط الاقتصادي أو يبدأ ضعيفاً حالما تلغى القيود. إذ على الحكومات أن تقدم إعانات للعمال، والمرضى وأصحاب المعاشات غير الكافية لمساعدتهم على البقاء في بيوتهم دون أن يفقدوا أعمالهم. ولكن السؤال المبكر كان يثار حول من سيدفع فاتورة التعافي من فيروس كورونا؟ (Riley)

ربما تساعد على النقاط الأنفاس حزم برامج التحفيز المالية، وهي ضرورية للغاية لحماية العمال العاديين ومنع الأسواق من الغرق. ولكن ما زال مطلوباً عمل الكثير لاستعادة النشاط الاقتصادي. سيبقى الوضع الاقتصادي سيئاً حتى يتم حل الأزمة الصحية. ولكن الضرر الذي حاق بنشاط الأعمال وأسواق الائتمان والمديونية، سيترك تأثيرات ممتدة إلى ما بعد بدء التحسن الاقتصادي. ربما يعود تفاقم المشكلة إلى أن الاقتصاد العالمي لا يواجه فقط 'صدمة' على جانب الطلب وإنما صدمة 'شديدة' كذلك على جانب العرض. قد يسهم دعم الطلب في تسطيح منحى العدوى من خلال مساعدة الناس على البقاء في منازلهم، ولكن ثمة حدوداً لما يمكن أن يحققه ذلك للاقتصاد عندما يظل 20-30% من العمالة رهن العزل الذاتي لفترة طويلة.

جدول رقم (1) " المعدلات المتوقعة لنمو الناتج "

A Quick Look at the Numbers

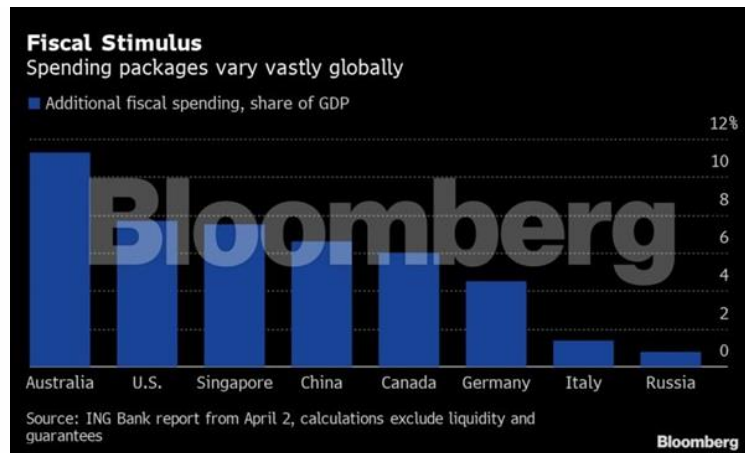
	2016	2017	2018	2019	2020	2021	2022	2023	2024
Real GDP growth (percent change)									
World	2.8	3.4	3.2	2.6	-3.0	3.9	3.6	2.8	2.8
United States	1.6	2.4	2.9	2.3	-5.4	6.3	4.0	1.6	1.3
Eurozone	1.9	2.7	1.9	1.2	-4.6	1.2	1.7	1.4	1.4
Japan	0.5	2.2	0.3	0.7	-3.3	1.3	0.6	0.7	1.0
China	6.8	6.8	6.7	6.1	2.0	6.3	5.6	5.4	5.2
Exchange rates (year end)									
Dollar/euro	1.05	1.20	1.15	1.12	1.08	1.08	1.09	1.11	1.12
Yen/dollar	116.8	112.9	110.8	109.1	110.5	109.0	104.1	101.0	100.0

المصدر: Khaleej Times, Global economy to shrink by 3%, says IMF

قد يعود الاقتصاد بسرعة نسبية إلى حالته المعتادة إذا تم الوصول إلى علاج فعال للوباء، ولكن غياب الفحص والاختبار على نطاق واسع، وعدم تبني مؤشر واضح لما يعد وضعاً معتاداً في غضون سنتين، يجعل من الصعب حفز الأعمال على الاستثمار والتشغيل. سيعرف العلماء كثيراً عن هذا العدو المايكروسكوبى فى غضون شهور، وفقط بعد هزيمته سيصبح ممكناً تحديد تكلفة الجائحة الاقتصادية التى خلفها (ROGOFF)

تشير CNN Business إلى أن رد الفعل لوباء كورونا لم تكن له سابقة من حيث سرعته ولا حجمه، وقدرت أن التزام الحكومات والبنوك المركزية بلغ ما يقرب من 7 تريليون دولار. يشمل ذلك الإنفاق الحكومى، ضمان قروض، وتسهيلات ضريبية، فضلاً عن طباعة النقود لشراء السندات وغيرها. تشمل تلك الأرقام 2.2 تريليون دولار، 30 تريليون ين فى اليابان (274 بليون دولار)، وخصصت الاقتصادات الأوروبية حزمة محفز مالى تفوق ما جرى تنفيذه خلال الأزمة العالمية 2008. ولن تكفى تلك الجهود الجبارة إذا استمرت الأزمة لما بعد يونيو. وقد أكد قادة مجموعة العشرين أنهم سيفعلون كل مايتطلبه تقليل الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الوباء، واستعادة النماء العالمى. وأعلنوا التزام بلادهم بضخ محفز مالى قدره 5 تريليون دولار. لن يصبح ممكناً العودة إلى نفس مستوى الإنتاج والنشاط فوراً. لقد فرضت الدول إجراءات وقيوداً مشددة على الحركة والتنقل وطالبت بالتباعد البدنى الاجتماعى والإغلاق، إلخ. وكما يبين الشكل - 3 تباينت الحزم المالية في الدول المختلفة، لدعم الشركات ومساعدة العمال (Horowitz).

شكل رقم (3) . " المحفز المالى فى مواجهة الوباء



5-2. تبرير التدخل الحكومى وتقييم حَرَم التحفيز

استهدف واضعوا السياسات ومتخذوا القرارات من وراء فرض بقاء الناس فى بيوتهم، إبطاء وربما إيقاف معدل انتشار المرض. ولكن الإغلاق وحده أو توزيع الأموال لن يوقف الوباء أو ينقذ الاقتصاد. المثال

على ذلك هو قرار الولايات المتحدة بضح أكثر من 2 تريليون دولار في محاولة إنقاذ اقتصادية. تحتاج الولايات المتحدة هذا الإنفاق الحكومي كما تحتاج كذلك تدخل الحكومة للتصدى لأزمة الصحة العامة. كثير من مخصصات المحفز المالي يساء توجيهه، والقليل منها يذهب إلى مجاله الصحيح.

مما أثار الانتباه أن مجموعة متزايدة من الشخوص، ومن بينهم الرئيس الأمريكي، كانوا قد افترضوا أن قرارات 'الإغلاق' سيتم تخفيفها مع عيد القيامة (الإيستر). لا شك أن الوباء يتطلب من الحكومة ليس فقط زيادة الإنفاق ولكن تدخلها كذلك في إعادة تنظيم الاقتصاد برمته. يبرر احتمال والخوف من موت الملايين إذا وصل الاقتصاد إلى حالة شلل ضرورة زيادة وتوسيع نطاق الدور الحكومي. يجب النظر إلى رد فعل الحكومة باعتباره شكلاً غير مسبوق من التأمين المنظم لأرواح الناس وجودة حياتهم. وتقديراً للقيمة المطلقة للأميرين يصبح على المواطنين والحكومات أن يكونوا جاهزين لتحمل هذا الثمن مهما كان باهظاً.

فعالية الإنفاق. الواقع أن هذه الخطوات تفوق الاقتراحات السائدة بإنفاق بلايين الدولارات، على مبادرات متباينة قد لا تدقق في أعراض ودواعي الأزمة، وما إذا كانت عجزاً ونقصاً في الطلب الكلي، أم نتيجة لصدمة عادية على جانب العرض. كما أن قسماً كبيراً من المحفز يستخدم لإنقاذ شركات وجهات دون التزامها بالمشاركة في جهود مواجهة الأزمة الصحية أو تبعاتها الاقتصادية². بعبارة أخرى يلزم أن يسترشد المسؤولون عن تقرير اعتمادات كبيرة للتصدى للوباء بمعياريين: الأول، أن يكون الإنفاق الحكومي مركزاً على مجابهة أزمة الصحة العامة. **الثاني**، أن تكون حزمة الإنقاذ الاقتصادية كافية ومناسبة لتوفير 'حياة كريمة' للناس.

فيما يتصل بالشرط الثاني لا بد من مراعاة ألا تكون المنحة المالية المقدمة للمستفيدين لمرة واحدة أو اثنتين فحسب، وإنما متكررة لحين زوال أسباب دفعها. وكذلك فإن السياسات التي تحفز التشغيل مثل تخفيض الضرائب على الشركات أو الدخل قد لا تناسب القضاء على الوباء وتبعاته على المعروض من السلع والخدمات. الأهم هو سرعة وكفاية الموارد اللازمة لإعادة تأهيل المصانع لإنتاج أجهزة التنفس للمرضى ومعدات حماية الأطقم الطبية. كما يجب أن تطبق المشروطة على الجهات التي تحصل على اعتمادات من مخصصات المحفز.

هل يتغير دور الدولة؟ وإذا كانت اقتراحات ثم قرارات زيادة الإنفاق الحكومي لمواجهة آثار الوباء حتمت السؤال عن مصدر تمويل هذا الإنفاق، فإن ما يجعل الكارثة غير مسبوقة هو ليس فقط الاحتياج إلى

² أشار تقرير في جريدة الأهرام (23 إبريل 2020) إلى أن الرئيس الأمريكي طلب من جامعة هارفارد الشهيرة رد 86 مليون دولار كانت قد تلقتها كجزء من حزمة 2.2 تريليون دولار التي تقررت لتحفيز الاقتصاد الأمريكي. وقال "لا أحبذ ذلك على الإطلاق، هذا المال مخصص للعمال وليس لإحدى أغنى المؤسسات في العالم".

موارد إضافية وإنما كذلك ضرورة تدخل حكومي (على نطاق واسع) في عمل الاقتصاد: في إنتاج وتوزيع السلع (سنعرض لاحقاً للأميرين). المطالبة بدور للدولة في غمار أزمة الوباء يفوق حالة التعبئة للحرب العالمية الثانية، التي يضرب بها المثل. لا شك في معارضة الكثيرين لهذه الرؤية. إن إعادة تنظيم الاقتصاد ستواجه الكثير من الصعوبات العملية، خاصة في أمريكا، التي قيدت حكوماتها تدخلها المباشر في النشاط الإنتاجي. على الرغم من أنه في الاقتصادات المعاصرة تعددت أشكال التدخل الحكومي، عكست محاولة التوازن بين الدولة والسوق في مواجهة الأزمة الحالية. رغم أن تدخل الحكومات في الاقتصادات المعاصرة يأخذ عدة أشكال فإن الأفكار الراسخة حول التوازن بين الدولة والسوق قد تحول دون رد الفعل المناسب للأزمة (FRYDMAN).

أقدم الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي على خطوة تاريخية بضخ سيولة قدرها 6 تريليون دولار في الاقتصاد منذ بدأ وباء كورونا. واتخذت بنوك مركزية في دول أخرى إجراءات مماثلة، بقصد تعويض التراجع الاقتصادي الناجم عن الإغلاق بسبب الفيروس. في الوقت الراهن تنتظر أسواق السندات والعملات تحديد توجهاتها، وهو ما اعتبره البنك الألماني "نهاية حرية السوق"، و"لم يعد هناك شيء يعرف بالسوق الحر". قام صناع السياسات بدعم أسواق الائتمان للقطاع الخاص. في أقصى الاحتمالات يمكن أن تتحول البنوك المركزية إلى أدوات في اقتصاد أوامر تتحكم في أسعار الأسهم والاقتراض. سيصبح عالم ثنائي القطبية للكبح المالي: اقتصاد عيني شديد التقلب مع ضالة التغير في القطاع المالي. ما نشهده حالياً لا يقل عن موت الرأسمالية وولادة شيء جديد. وعندما يعرض الفيدرالي شراء كميات غير محدودة من الأصول في السوق، فكأنه يقول أنه قد يؤمم الأسواق حتى لا تنخفض الأسعار. ما بدأ منذ عقد مضى كتجربة في السياسة النقدية نشهد حالياً تحوله إلى نظام اقتصادي جديد (Bambrough).

السياسات التي تدير مرحلة مواجهة الوباء وفترة عودة الانتعاش ستصبح أكثر أهمية، من أزمة كورونا نفسها، في تحديد الأحوال الاقتصادية والسياسية في المستقبل. أشار البعض إلى أن مواجهة حاسمة لهذا الوباء الخطير استوجبت تدخل الدولة وتتطلب زيادة دورها في الحياة الاقتصادية. قد لا يلقي ذلك قبولاً كاملاً - خاصة في أمريكا - ممن يصرون على المحافظة على الديناميكية الاقتصادية المستندة إلى مبادئ وقوى السوق. هؤلاء يرددون ما هو شائع من أن خبرة التاريخ تثبت أفضلية الرأسمالية على أي نظام اقتصادي آخر. ولكنهم على أية حال يقرون بضرورة 'عصرنة' وتحديث النظام الرأسمالي بما يتوافق مع أوضاع ما بعد كورونا (Paulson).

أزمة ليس لها شبيهه. كان متوقعاً أن تتجه جهود الباحثين والمسؤولين لمعالجة التبعات الاقتصادية والمالية لوباء كورونا إلى دراسة أزمت سابقة وسبل علاجها. أشار البعض إلى الأزمة المالية العالمية في 2008، كمثال مناسب لأزمة استدعت - في حينها - سياسات نقدية ومالية قوية، على غرار ما أقدمت عليه كثير من الحكومات في مواجهة كورونا مؤخراً. هذا خطأ. ما نجح منذ 11 سنة مضت قد لا

يصادف نجاحاً الآن. وباء كورونا ليس مثل الأزمة العالمية في 2008، وكذلك يجب أن تكون سياسة درء أثاره. كانت الأزمة العالمية أساساً صدمة بدأت في قطاع المال وانتقلت وطأتها للاقتصاد الحقيقي (العيني). أما كورونا فهو أساساً أزمة صحة عامة. ولكن الإجراءات القاسية لاحتواء المرض: حظر التنقل، والقيود على التجمعات، والتباعد البدني والاجتماعي، والإغلاق الجزئي أو التام، انعكست بشدة على الاقتصاد الحقيقي، مما أدى إلى نتائج خطيرة على نشاط الأعمال والعمال والقطاع المالي... إلخ. كانت الإجراءات غير المسبوقه خلال أزمة 2008 ملائمة وفعالة، إذ توجهت لمصدر الأزمة: ضربة للقطاع المالي. أما في الأزمة الراهنة، كانت القرارات التي اتخذتها البنوك المركزية والحكومات تخاطب الصدمة الثانوية: التبعات المالية للأزمة الأولية على الاقتصاد الحقيقي. ربما كان رد فعل بنك الاحتياطي الفيدرالي - مثلاً - ضرورياً، ولكنه غير كافٍ للتعامل مع كوفيد 19. يبدو أن العالم أصبح يعول كثيراً على الإجراءات النقدية. فقرارات البنوك المركزية التي نجحت في مساندة الأسواق في أواخر 2008 وأوائل 2009 لم تكن فقط سلاحاً خاطئاً في مواجهة الأزمة ولكنها تفنقر إلى الذخيرة (ROACH). يمكن مواجهة الأزمات عن طريق التصدي لأسبابها. ولمواجهة وباء كورونا يجب التركيز على احتواء الفيروس. ويتطلب ذلك اتخاذ إجراءات خلاقة وسريعة تتعامل أساساً وقبل أي شيء مع البنية التحتية للصحة العامة والعلم للقضاء على الفيروس.

5-3 التفسير الكينزي للإنفاق التحفيزي: الدواء مُنْتَه الصلاحية

عندما كشف المسئول المالي البريطاني في 11 مارس عن حزمة محفز تعادل 235 بليون دولار تغطي خمس سنوات، علق أحد الخبراء بقوله إنها ميزانية كان سيوافق عليها الاقتصادى الانجليزى الأشهر جون ماينارد كينز. وكذلك عندما أعلن المسئول في 17 مارس عن حزمة إضافية قدرها 350 بليون استرليني لدعم نشاط الأعمال خلال أزمة وباء كورونا بدا وكأن السياسة المالية للملكة المتحدة قد عادت إلى دورها المناسب بعد سنوات النقشف. يتشكك البعض في هذه العودة إلى كينز. من ناحية لم يكن هناك رفض للنقشف قبل ذلك. ومن ناحية أخرى تقرر تلك التغيرات عجز الموازنة مع كينز، بينما يمكن أن تتضمن الحسابات الكينزية فوائض فيها. لا يرى هؤلاء أية رؤية كينزية في قرارات المالية البريطانية، إذ أن حزمة الإنفاق لحماية الاقتصاد من تبعات الفيروس تدخل ضمن مسئوليات الحكومة عن حماية الشعب في مواجهة مثل هذه الكوارث. ولكن كينز كان سيطرح سؤالاً لم يُشَر إليه أحد؛ كيف يتم تمويل هذا الإنفاق؟

تعتمد سلامة وفعالية الإنفاق الحكومى على توقيتته والوضع الاقتصادى العام. وقد حدث التحفيز المالى فى وقت احتدام الوباء فى التوقيت الخطأ من الدورة الاقتصادية. وحسب ما كتبه كينز فى حينه فإن ' فترة الازدهار وليس الركود هى الملائمة للنقشف فى الموازنة '. ليس الآن وقت انتعاش، بل تشير كافة